

المخططات المعرفية المبكرة غير المتكيفة وأصولها واليات نشونها في الطفولة المبكرة

بوعروج فريدة
تحت تأطير
أ.د. عبد العزيز حداد
جامعة البليدة 2 علي لونيبي

ملخص :

تؤكد مجمل الدراسات السيكولوجية على أن للطفل حوافز ورغبات ملحة تدفعه إلى الأمام، هذه الطاقة النمائية هي التي تحدّد طبيعة نموه الذي يتشكل تدريجيا في أطوار متتالية، وتمثل الطفولة المبكرة مرحلة لها أهمية بالغة في بناء شخصية الفرد، وتأخذ هذه السنوات أهمية كبرى حيث ينمو وبشكل سريع الجانب العقلي والعاطفي، كما تتطور العلاقات الاجتماعية، وبقدر ما يستند هذا التقدم إلى النضج العصبي، والحسي والحركي، فهو يستند أيضا إلى خصائص البيئة المحيطة بدءا بالأسرة، وتعطي نظرية جيفري يونغ (1993) التي تعتبر نموذجا نظريا جديدا لتفسير السلوكيات غير المتكيفة ومختلف الاضطرابات النفسية لهذه المرحلة أهمية بالغة في تكون ما يسمى بالمخططات المعرفية المبكرة غير المتكيفة التي هي بنى معرفية تأخذ منبعها من الطفولة، فهي نتاج تجارب مكررة متعود عليها مبكرا في مرحلة الطفولة، حيث دور الوالدين هو عامل مبكر وأساسي في العموم، ويكون للإخوة والأصدقاء والمعلمين دور هام في تطوير الاعتقادات الأساسية للطفل عن ذاته، والتي تكون في معظمها خاطئة وسلبية.

الكلمات المفتاحية: المخططات المعرفية المبكرة غير المتكيفة، الطفولة المبكرة.

Résumé :

La plupart des études psychologiques confirment que l'enfant a des incitations et des désirs qui le poussent en avant, cette énergie de développement détermine la nature de sa croissance, qui se forme progressivement par phases successives.

L'enfance précoce représente une étape d'une extrême importance dans la construction de la personnalité de l'individu, ces années prennent une grande importance où le côté mental et émotionnel évoluent rapidement, les relations sociales se développent, et pour autant que ces progrès reposent sur la maturité neurologiques, sensorielle et motrice, ils reposent aussi sur l'environnement en commençant par la famille.

La théorie de Jeffrey Young (1993), qui est considérée comme un nouveau modèle théorique pour expliquer le comportement et les troubles inadaptés et divers troubles psychologiques, donne une extrême importance à la formation de ce qu'on appelle les schémas cognitifs précoces inadaptés, qui sont des structures cognitives qui prennent leur source pendant l'enfance, ils sont le produit d'expériences répétées habituées dans l'étape de l'enfance précoce, où le rôle des parents est un facteur précoce et essentiel en général, les frères, les amis et les enseignants jouent un rôle important dans le développement des croyances fondamentales de l'enfant lui-même, qui sont pour la plupart fausses et négatives.

Mots-clés : Les schémas cognitifs précoces inadaptés, l'enfance précoce.

مقدمة:

تتفق معظم التيارات النفسية باختلافاتها على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة أو السنوات الأولى للصغير الإنساني، على التكوين والبناء النفسي لبقية حياة الفرد لاحقاً.

حيث يرى فرويد أن شخصية الفرد تتكون خلال خمس السنوات الأولى، واهتمت آنا فرويد بهذه المرحلة وأضافت أن خبرات الطفولة تعتبر مشكلة حاضرة بالنسبة للأطفال.

كما أشار هورني فروم وسوليفان و إريكسون إلى أهمية الطفولة المبكرة، فيرى سوليفان و إريكسون أن المراهق السوي هو الطفل الذي مر خلال طفولته بنمو سوي، فالأحداث خلال مرحلة الطفولة المبكرة تلعب دوراً هاماً في تشكيل شخصية الفرد وهو ما يؤثر على طبيعة الشخصية خلال المراهقة

فالطفل يمر خلال سنواته الأولى بفترات حرجة، حيث يتأثر بكل المؤثرات المحيطة به، سواء الداخلية منها أو الخارجية.

و ميز محمد عماد الدين إسماعيل (1986) الطفولة عن باقي المراحل كونها مرحلة حياتية فريدة تتميز بأحداث هامة، فيما توضع أسس الشخصية المستقبلية للشخص للفرد البالغ، لها مطالبها الحياتية والمهارات الخاصة التي ينبغي أن يكتسبها الطفل، إنها وقت خاص للنماء والتطور والتغير يحتاج فيها الطفل إلى الحماية والرعاية والتربية.

ويعتبر نموذج يونغ للمخططات من أحدث النماذج التي تؤكد بصفة قطعية على أهمية المراحل الأولى للطفولة على البناء النفسي للشخص الإنساني، وذلك من خلال مفهوم المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة، فكلمة مبكرة *précoce*، استعملها يونغ ليشير أن هذه المخططات تأخذ منبعها من الطفولة.

إذ أن هذه المخططات ناتجة عن البناءات العميقة التي تتصف بالأفكار الثابتة والمستمرة والمتطورة خلال فترة الطفولة، والتي تعمل على تشكيلها لاحقاً، فالمخططات المبكرة غير المكيفة هي نتاج تجارب مكررة ومتعود عليها في مرحلة الطفولة.

في هذا المقال إذن سنتعرف على ماهية هذه المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة وعلى آلية حدوثها في الطفولة والعوامل المساعدة في تعزيزها.

1- تعريف المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة:

المخططات المعرفية المبكرة غير شعورية ومتواجدة في الذاكرة الطويلة المدى، تأخذ منبعها من الطفولة والمراهقة وتسيطر على حياة الفرد في مرحلة الرشد وهي ذاتية، مؤلمة، وبالتالي فهي تمثل عبء الماضي على مستقبل الفرد (J.cottraux, 1995, p5).

وفي كتابه (je réinvente ma vie) 1995، حدّد يونغ مفهوم المخطط المبكر غير المكيف كما يلي: «المخطط عبارة عن استعداد يأخذ منبعه من الطفولة، ويؤثر على حياتنا كلها» (N.Kahalé, 2009, p81).

إذن المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة هي مجموعة هائلة من الذكريات والانفعالات والأحاسيس الجسدية والمعارف التي تدور حول موضوع طفولي مثل: التخلي، سوء المعاملة، الإهمال والرفض (Yong and all, 2005, p 57).

2- مجالات المخططات المبكرة غير المكيفة:

اقترح يونغ ثمانية عشر (18) مخططا مبكرا غير مكيف، وصنفها في مجموعات ضمن خمس مجالات تحت اسم المجالات الخمسة للحاجات، ولكل فرد نسق خاص به مميز من المخططات.

أ- المجال الأول:

*المخططات المبكرة غير المكيفة للانفصال والرفض:

يفشل الأطفال الذين يملكون مخططات هذا المجال في وضع علاقات مرضية مع الآخرين ويرون أن حاجات الاستقرار، الأمن، الانتباه، الحب والانتماء لا توصلهم إلى حد الإشباع، وفي الأصل تتميز عائلتهم بنقص الاستقرار (التخلي/ نقص الاستقرار)، سوء المعاملة (الشك/ التعدي) أحاسيس باردة (النقص العاطفي) أو منقطعة عن العالم (الانعزال الاجتماعي) و(النقص / الخجل) بالإضافة إلى (العزلة/ النفور).

ب- المجال الثاني:

*المخططات المبكرة غير المكيفة لنقص الاستقلالية والأداء الجيد:

إن للفرد حاجات يرغب إشباعها، لكنها لا تتوافق مع سير حياته اليومية كالرغبة في الانفصال عن العائلة والاستقلالية الذاتية والإنجاز الجيد، ونقص إشباع هذه الحاجيات يولد لديه الفشل، ومن طبيعة هذه الحاجات أنها أسرية ينشأ معها، أي في أي أسرة تتميز بنسق

مغلق، تتمثل في عدم تشجيع العلاقات خارج العائلة وبالتالي ينشأ الطفل ولديه نقص في تعلم المهارات الاجتماعية والأداء الجيد. (J.Cottraux and all, 2001).

وهذا المجال يشمل المخططات الآتية:

- مخطط التبعية / عدم الكفاءة.
- مخطط العلاقات الاندماجية.
- مخطط الفشل.
- الخوف من المرض والخطر والانجراحية.

ج- المجال الثالث:

*نقص الحدود (العجز في وضع حدود وعدم المسؤولية):

إن الذين يحملون مخططات هذا المجال لم يطوروا الحدود الملائمة فيما يخص تبادل الشعور والمراقبة الذاتية في نقص الحدود الداخلية، وكذا يتميزون بنقص تحمل المسؤولية تجاه الآخر والعجز على مواصلة الأهداف إلى آخرها.

ويشمل هذا المجال المخططين التاليين: - مخطط الحقوق الشخصية المغالية والتسلط ومخطط نقص التحكم الذاتي/ الانضباط الشخصي. (J.Yong and all, 2003)

د- المجال الرابع:

*المخططات المبكرة غير المكيفة للتوجه نحو الآخرين:

في فترة الطفولة لم تكن للطفل الحرية في ميوله الطبيعية مما يدعوه إلى كبت ما بداخله لإرضاء والديه حتى يكسب ودهم ورعايتهم على حساب الإنقاص من قيمته وحاجاته الشخصية مقابل حاجات ورغبات الآباء، وهذا ما يسمى في التربية النمطية بالقبول الاشتراطي (J.Yong and all, 2005).

ويشمل هذا المجال ثلاثة مخططات:

- مخطط الخضوع
- مخطط التضحية (إنكار الذات)
- مخطط الحاجة للاستحسان والاعتراف بالجميل.

هـ- المجال الخامس:

*المخططات المبكرة غير المكيفة لليقظة المفرطة والكف :

ويرجع أصل هذا المخطط أيضا إلى مرحلة الطفولة، أين انعدم الفرح ومراقبة الذات وعدم التشجيع على اللعب والبحث عن أبعاد وتعلم اليقظة المفرطة للأحداث السلبية، حيث أن هؤلاء الأشخاص تربوا في أسرة من أولوياتها الأساسية العمل، الخضوع،

وإخفاء المشاعر و غالبا ما يتسمون بالتشاؤم والانشغال والقلق ويندرج ضمن هذا المجال المخططات الأربعة التالية:

- مخطط السلبية والتشاؤم.
- مخطط التحكم الانفعالي المفرط.
- مخطط المثاليات المتطلبة والنقد المبالغ فيه.
- مخطط العقاب (J.Cottraux, 2001).

3- تعريف الطفولة والطفولة المبكرة:

*الطفولة:

تحدد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF) وغيرها، أن مرحلة الطفولة تشير إلى الأطفال من الميلاد وحتى عمر ثماني سنوات.

و هي مرحلة من مراحل نمو الإنسان، تشمل حركة النمو في مختلف أبعاده في التكوين والنمو والنضج خلال اثنتي عشرة سنة تقريباً وتتميز بأربع مراحل جزئية هي : المرحلة الجنينية،مرحلة المهد،مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة الطفولة المتأخرة.

*الطفولة المبكرة:

يعرفها حامد زهران(1968) بمرحلة ما قبل المدرسة وتمتد من مرحلة ما قبل الرضاعة حتى دخول المدرسة.

وتتميز باستمرار النمو الجسمي والاتزان الفيزيولوجي والتحكم في عمليات الإخراج، وكذلك في البداية الفعلية للتعرف على البيئة المحيطة واكتساب المفاهيم الاجتماعية وكذا التفريق بين الصواب والخطأ والخير و الشر وأساسيات بداية نمو الذات.

4-أنماط المخططات الطفلية لدى يونغ:

تمثل أنماط المخططات،الحالات الانفعالية و استجابات التكيف الآنية، سواء كان هذا التكيف متوازنا أو لا، والتي نصنع منها تجاربنا، وأنماطنا للمخططات تنشط غالبا من تجارب الحياة التي نكون أكثر حساسية لها (محفزاتنا العاطفية)، ويسمى نمط المخطط الحالة الغالبة التي نكون عليها في لحظه ما (Mode de schéma)، وهذه الأنماط تبقى موجودة،وفي لحظة ما تنشط بعضها من طرف حوادث الحياة لاحقا وتصبح تسيّر حالتنا الانفعالية وسلوكياتنا، بينما تبقى الأخرى نائمة.

وقد حدّد يونغ أربعة أنماط للمخططات بالنسبة للأطفال :

أ-**الطفل الهش،الضعيف**: يحس نفسه وحيدا،منعزلا،حزينا،لا يفهمه أحد،بدون سند،متجاوزا، غير كفؤ، بدون أمل، ضعيفا، مظلوما، غير قادر، مقصيا ومتشائما.

ب-**الطفل الغاضب:** طفل غاضب باستمرار، محبط، غير صبور لأن الحاجات الأساسية الانفعالية أو الجسدية للطفل الضعيف غير مشبعة.

ج-**الطفل المتعدي / غير المنضبط:** ينفعل تبعاً لرغبة أو حاجة غير أساسية بطريقة أنانية وغير مراقبة لإشباعها، وعند عدم إشباع هذه الرغبة الجامحة حالاً، يحس عادة بغضب شديد وإحباط، ولا يصبر على عدم إشباع حاجاته الثانوية، ومن هنا يظهر الطفل المدلل.

د- **الطفل السعيد:** يحس أنه محبوب، راض، محمي، متقبل، معتبر، موضوع اهتمام، موجه، متفهم واثق من نفسه، كفاء، مستقل، إرجاعي (Resilient)، قوي، مراقب، متفائل وتلقائي (J.Young, M.First, 2005)

5-آلية نشوء وأصول المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة:

أفادت جل التجارب والاتجاهات السيكولوجية بأثر الطفولة غير السعيدة والخبرات الصادمة أو غير المواتية في فترة الطفولة المبكرة في نمو اضطرابات الشخصية (مريم سليم، 2004، ص 78).

والطفل في مرحلة ما قبل المدرسة خصوصاً يبدأ في ترسيخ المفاهيم النفسية والاجتماعية، فيتعرف فيها على نفسه وعلى الآخرين داخل الأسرة وخارجها، و يقوم بتشكيل المفاهيم الأساسية وتوسيع أفاق القدرة العقلية وهي مرحلة الإبداع والابتكار حيث يقوم الطفل بتجميع وتبديل قدرات الإبداع. (فتيحة كركوش، 2011، ص 16-17).

فالطفولة المبكرة مرحلة حساسة وقاعدية لتكوين خطوط السواء واللاسواء للفرد مستقبلاً، وبما أن المخططات المعرفية غير المكيفة تلازم وتسير الفرد في حياته الحاضرة، بدون شك أن منشأها يكون في ماضيه، حيث يؤكد يونغ أن ظهور المخططات يعود إلى مرحلة الطفولة والمراهقة، حيث تترسخ في الفرد وتصبح أساسية في الشعور بالهوية وتلازم الفرد (J.Young and all, 2003)

ووفقاً لنظرية يونغ فإن طبع الفرد عامل أولي يساهم في تشكيل المخطط، فالطبع فطري يرسم الإطار العاطفي للفرد والصفات التي تحدد ردود أفعاله تجاه الأحداث، والطبع يتكون من السمات والخصائص التي نرثها منذ الولادة وهي:

الخجل/ الانبساط، السلبية/ الدينامية، تقييد انفعالي/ شدة الانفعالات، تخوف/ خوف، حساسية/ عدم القابلية للانجراف (F.Fafona, 2007, p110).

كما حدد يونغ ثلاثة عوامل أساسية لها دور أساسي إلى جانب طبع الطفل في نشوء المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة.

أ- الحاجات الانفعالية الأساسية:

هي نتاج لحاجات انفعالية أساسية غير مشبعة خلال الطفولة أساسا أو المراهقة، وأهمها ما يلي:

- الأمن المتعلق بالآخرين والاستقرار، التربية الإيجابية، التقبل.
- الاستقلال، الكفاءة، الشعور بالهوية.
- التعبير بحرية عن الحاجات والانفعالات.
- التلقائية واللعب.
- الحدود الواقعية والمراقبة الذاتية.

فالتفاعل بين الطبع الفطري ومحيطه السالب المبكر ينتج عنه إحباط بدلا من إشباع فيما يخص حاجات الطفل العاطفية الأساسية)، فينشأ المخطط المبكر الغير المكيف من عدم تلبية الحاجات الأساسية للطفل (J.Young, 2005, p37)

وقد دلت الدراسات التي قام بها ماريانفينسو (marianvincent) وبريكنراج (breckenridge) حسب فتيحة كركوش(2011)، أنه بدون الحب والأمن النفسي في الطفولة المبكرة، يفشل الأطفال في التفتح والازدهار من الناحية الجسدية، وتنمو لديهم اتجاهات شخصية مضادة معينة تعوق النمو العقلي والنفسي السليمين.

فالطفل بحاجة للقبول والحب والحماية، وخلاصة حاجياته هي سبع:

- أن يكون محبوبا بدون شرط.
- أن يكون محميا جسديا ونفسيا.
- أن يقدر (يمدح).
- أن يفهم ويسمع.
- أن يمنح المسؤولية ويشعر بالثقة.
- أن يوقظ ويساعد على تطوير فضوله.
- أن يشعر بالاستقرار والاطمئنان.

وخلال أي ضعف أو فشل في نقل أو تلقي هذه الحاجات يؤدي بالطفل إلى تطوير مخططات مبكرة غير مكيفة، فعدم الإشباع المتكرر لحاجة عاطفية نابعة من مخطط له علاقة بهذه الحاجة، يصل بنا إلى العلاقات التالية:

- نقص العاطفة يؤدي إلى مخطط الإهمال والنقص العاطفي.
- نقص الحماية يؤدي إلى مخطط الظلم.
- نقص التقدير يؤدي إلى مخطط نقص المعرفة ومخطط تقدير الذات.
- نقص المسؤولية يؤدي إلى مخطط الخضوع.

(S.Hahusseau..2007)

ب- دور تجارب الحياة المبكرة :

التجارب السالبة للطفولة هي احد اكبر مصادر المخططات المبكرة غير المكيفة، والمخططات التي تتطور مبكراً هي الأكثر شدة والأكثر قوة، تجد منبعها في الخلية الأسرية، فالمخططات نتاج لما يعيشه الطفل لحوادث ومواقف مؤلمة محببة في طفولته مع والديه أو أطراف أخرى كالرفاق، المدرسة الجماعة.

وأهم هذه التجارب التي قد تطور مخططات معرفية غير مكيفة مبكرة.

● **إحباط الحاجات:** وتظهر عندما يحرم الطفل من حاجاته الأساسية في وسطه مبكراً، فتتقصر عناصر مهمة مثل : الحب، التفهم، الاستقرار فيكتسب مخططاً مثل الحرمان والتخلي.

● **التعرض للصددمات :** فإذا تعرض الطفل لحدث صدمي أو كان ضحية سوء معاملة مثلاً سيطور لديه مخطط (الحذر النقدي) و (عدم الإتيان) و (الخوف من الخطر أو المرض). (J.Young, 2005, p38)

فيونغ يركّز على التجارب العاطفية والعلائقية البارزة التي عاشها الفرد مع أشخاص من محيطه، التي تدعم نمو المعتقدات الأساسية حول الذات والآخرين (N. kahalé, 2003, p81)

● **الإفراط في إشباع الحاجات :** الإشباع المفرط بكميات هائلة، قد يطور لدى الطفل مخططاً مثل: التبعية، عدم الإتيان، متطلبات عالية، بالإضافة إلى عدم إشباع للاستقلال الذاتي والحدود بالمقابل الإفراط في الحماية والتدخل في حياة الطفل والمبالغة والتدليل وأسلوب التسلط بدون شك سيساهمان أية مساهمة في تشكيل هذه المخططات غير المكيفة لاحقاً.

● **الاستدخال أو المماثلة:** يستدخل الطفل تلقائياً لأفكار وأحاسيس وتجارب وسلوك الآخرين ليصبح بدوره يتبنى ذلك السلوك (F. Mehran, 2006, p79) وهذا ما أشار إليه كاجان (Kagen.J) حيث يربط بين بناء المخطط وتكوينه والعوامل الشبه الخارجية كالوسط المدرسي والعلاقات بالأطفال الآخرين من خلاله، والطبقات الاجتماعية المختلفة

وكذلك من خلال المركز في الإخوة والوسط الخاص حيث يظهر تأثيره هذا في سياق الجماعة وليس الفرد فقط مثلما هو الأمر في الحروب وسلطة الجماعة والكوارث الطبيعية الإجرامية. (C.Chiland and all 1997)

ج- دور الطبع الانفعالي:

تنشأ المخططات من تفاعل الطبع الانفعالي والتجارب التي يعيشها الطفل في الطفولة (N.Kahalé, 2009, p85).

والطبع الانفعالي يتكون من مجموعة أبعاد وكل فرد له ميل نحو أحد هذه الأبعاد وهي كالتالي:

- بعد انفعالي/ غير مستجيب.
- بعد مكتئب/ متفائل.
- بعد قلق/ هادئ.
- بعد وسواس/ متناقض.
- بعد سلبي/ عدواني.
- بعد سريع الانفعال/ بشوش.

ترى فتيحة كركوش نقلا عن بياجيه (piaget) أن التفاعل القائم والديناميكي بين الفرد وبيئته ضروري لكل أنواع السلوك الذكي، وأن السلوك المعرفي الذي يقوم به الطفل يساعده في التكيف مع بيئته، إلا أن هذا السلوك التكيفي لا ينبثق عن مصدر فوضوي غير منظم، بل يستدعي التنظيم الداخلي. (فتيحة كركوش، 2010، ص 45).

بالإضافة إلى ما ذكر، تمثل طبيعة المخططات، دليلا آخر على أهمية الطفولة المبكرة في اكتسابها حيث أن هذه المخططات تمثل للفرد حقائق ذاتية مطلقة وكافية، ويكون التعبير اللفظي للمخطط الاشتراط: «إذا... إذن»، «يجب علي»، «يجب عليهم»، التي تسير هذه الحقائق الجوهرية، وهي مزعجة وصعبة التغيير، تطورت منذ الصغر المبكر، وتمثل حقائق مطلقة ومستمرة عن الشخص وعلى الآخرين المتعود عليهم أو أفراد الأسرة، و أي تغيير يمثل تهديدا للفرد الذي يلجأ لحماية كمال وقيمة مكوناته الأساسية.

وهي أيضا منشطة من حوادث المحيط التي لها علاقة بالمخططات، كالفشل الحقيقي أو المتوقع أو الانتقادات التي تفجر مخطط الكفاءة، فالمخططات المبكرة غير المكيفة، هي نتاج تجارب مكررة ومتعود عليها في مرحلة الطفولة (J. Cottraux and all, 2001).

6- الدينامية العائلية، مطالب النمو النفسية للطفل وخصائصها والمخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة:

يبدو لنا جليا أهمية الطفولة المبكرة وحساسيتها لمختلف الأحداث فيها حتى المجهريّة منها ورأينا أن للطفولة حاجات مختلفة ومتفاوتة في الكم والنوع.

وتعد خصائص نمو الطفل في هذه المرحلة بمثابة منبئات لشخصيته، وذلك لأن ما يحدث فيها من نمو يصعب تغييره أو تعديله فيما بعد، ولأنه يتلقى أول دور من التقاليد والعرف، فهو يشترع في تكوين العادات الانفعالية نحو الآخرين، كما أن خطوط الصحة النفسية للطفل توضع وتقرّر في هذه السنة.

فالأطفال لديهم حاجاتهم الأساسية في مختلف الميادين (الأمن القاعدي، العلاقات الشخصية، الاستقلال الذاتي، تقدير الذات، التعبير عن الذات والحدود الواقعية)، وأي قصور

في كيفية أو كمية هذه الحاجات يطور بها الطفل مخططات مبكرة (سلبية) (N.Kahalé, 2009, p144).

وتشكل الدينامية العائلية العالم الأول للفرد، فقد ركز يونغ على الدور الأساسي للأسرة في تنمية الطفل من الجانب النفسي خاصة في بداية حياته، فالنمو النفسي الجيد يستلزم إشباع الحاجات الأساسية للطفل من طرف الوالدين، وذلك لتفادي نشوء المخططات غير المكيفة.

مطالب النمو النفسي الاجتماعي تضمنها في غالبها الأسرة، فهي من تتيح للطفل القدرة على التفاعل مع الآخرين والشعور بالانتماء للجماعة والقدرة على الأخذ والعطاء والشعور بالحب والحنان والأمن والاحترام، وتكوين الضمير وتمييز الصحيح من الخطأ، والتحرر من الخوف والشعور بالذنب والنقص وتعلم المشاركة الوجدانية، وتحمل المسؤولية والتعاون والمشاركة بإيجابية في الحياة العامة، وتعلم ضبط الانفعالات لتحقيق الاتزان الانفعالي والثقة بالنفس (حنان العناني، 2002، ص 66).

وفي المقابل فالطفل بحاجة إلى الأمن، التقبل الاجتماعي، الحاجة إلى النجاح وتأكيد الذات، الحاجة إلى الاستقلال والحرية، الحاجة إلى السلطة الضابطة والمرشدة والحاجة إلى رفاق في سنه.

لما يكون المحيط الأسري للطفل هداما، يكون هناك خلل وضعف في تلقى الحاجيات الأساسية بالنسبة للطفل وإشباع مطالب نموه النفسي والاجتماعي ومنه الطفل سيشكل مخططات معرفية مبكرة تكون بالنسبة له في كذا ظروف مساعدة وإيجابية لمواجهة هذا النقص والاختلال و غير المكيفة لاحقا، فهي تؤثر على الطفل وطبعه الخاص كما قلنا أولا، فمثلا معاملة الوالدين يتأثر طبع الطفل بها وهي التي تحدد ردود فعله اتجاه هذه المعاملة (N.Kahalé, 2009, p143).

وفيما يلي بعض خصائص المخططات، وكيفية مساهمة الأسرة أو البيئة المحيطة بالطفل بتعزيز أو تطوير المخططات المعرفية المبكرة غير المكيفة.

يتخذ الأمن القاعدي أهم حاجات الطفولة المبكرة و يتجلى المفهوم أو الوضع الأمثل للأمن القاعدي من خلال وسط مستقر يضمن الحب والحماية، والوالدان أهم موفرين له، فلا يهددان الطفل بالتخلي ولا يسيئون معاملته، ويضمنان له الحضور الجسدي والنفسي فعبارة طفل آمن يساوي علاقات مستقرة وبناءة ومنه الطفل لا يحس بالقلق والتخلي وبالتالي منع تنمية مخططات غير وظيفية.

أما إن عانى الطفل من نقص في الأمان القاعدي فسيطور الطفل مخطط التخلي والحذر والتعدي، فهي مخططات تعكس الطريقة التي يعامل بها الطفل داخل أسرته.

وإذا كانت علاقات الطفل بين شخصية سواء الحميمية النابعة من المحيط الأسري أو الاجتماعية (الأصدقاء والمعارف) مشبعة وعميقة، يندمج الطفل ويشعر بالانتماء للجماعة وتساعد الأسرة بصفة كبيرة جدا في هذا (N.Kahalé, 2009, p144).

وإذا عانى الطفل من التهميش وكان وحيدا ومنعزلا ولا يحصل على التقدير، ولا يقيم صلات وثيقة فيطور مخططي الحرمان العاطفي والانعزال الاجتماعي.

وإذا كان الطفل عرضة للانتقادات اللامتناهية والرفض، فيشعر الطفل بعدم الكفاءة، وينغمس في الكف مع الإحساس بالدونية، وإفراط في الحساسية للنقد والرفض ويصبح قلقا من المنافسة ويتجنبها (L.Fofana, 2007).

والعائلة التي تضع حدودا لطفلها وتعلمه عدم التعدي والتحكم في نفسه وضبط سلوكه لا تطور لدى طفلها مخطط التمرکز حول الذات والمتطلبات العالية والاندفاع والإشباع الذاتي (N.Kahalé, 2009, p146).

والمخططات السابقة الذكر صنفها يونغ من بين الأخطر من ثمانية عشر مخططا الأخرى (مخطط التخلي وعدم الاستقرار) + (مخطط الحذر/التعدي) + (مخطط الحرمان العاطفي) + (مخطط نقص الإتيان)، فالشخص الذي يقع تحت تأثير هذه المخططات يكون في طفولته قد تعرض لسوء معاملة وإهمال وتهميش وانتقاد وغيرها من السلوكيات السلبية، وعند الرشد ومع أحداث الحياة المختلفة يتصادم معها يحصل إدراك لا شعوري لهذه الخبرات الجديدة مع تلك التي في الطفولة، فيقوم ألبا بإعادة تفعيل نفس المخطط الذي استعمله في الطفولة (J.Young,2005).

وهذا ما يدل على أهمية خبرات الطفولة المبكرة كما قلنا وأهمية المحيط الأسري بالدرجة الأولى على تكوين وتفعيل وترسيخ مثل هذه المخططات، وللوالدين وأسابيلهما للتربية الإيجابية اثر يسمح للطفل بإدارة أموره اليومية واتخاذ القرارات والمسؤولية، والأسرة التي لا تعزز لدى طفلها التبعية والاندماجية يشبع حاجاته للاستقلال الذاتي، وبالتالي يبتعد عن تطوير مخططات سلبية مثل التبعية والقابلية للانجراح

حيث يلعب الوالدان عاملا مبكرا وأساسيا لتكون المخططات في العموم، فالتربية الوالدية المبكرة السالبة تساهم في نشوء المخططات غير المكيفة (F.Mehran,2006,p78).

إذ أن المخطط هو طريقة كيفية لرؤية العالم الذي يتموضع باكرا، أين يكون الطفل قابلا للعجن (لين) ويتأثر بكل ما يتلقاه من الخارج، ففي البداية يمكن المخطط الطفل من التكيف مع محيطه وتحمله، يفيد هذا المخطط الطفل لأنه آمن ويمكنه من التنبؤ بسلوك والديه ويتكيف معهما، ويكون سيئا حينما يعاقب الطفل ظلما، فيضطر إلى تأديب الوالدين بتستره على أخطاء إخوته حتى لا يشعر باللوم، والتوبيخ بفضل تكوين أو بناء المخططات ليصبح الطفل تقريبا غير واع، فيفكر الطفل بالعالم الخارجي أنه ظالم ويعتقد الطفل أنه لا يستحق

أن يكون محبوبا ويكون الطفل غير واع تقريبا، فالطفل لا يشعر أو يعي بأن ما يعيشه هو ظلم وبأنه محبوب قليلا، فوجود المخطط يسمح له أن يتألم قليلا. يوهم المخطط الفرد بأنه يمكنه أن يتنبأ بما يحدث في العالم الخارجي بحيث أن معاناته من نفس الحرمان يؤدي إلى التفكير أو الاعتقاد بأن ما يعيشه هو شيء عادي، لنفس الاستجابات العاطفية لا يبحث عنها أو يحتاج إليها (J.Cottraux, 1995).

الاستنتاج:

تمثل الأسرة الوسط الأكثر تأثيرا على الطفل، خاصة في السنوات الأولى من حياته، ولضمان نمو نفسي صحي وتجنب نشوء مخططات غير مكيفة، يحتاج الطفل أن يشبع حاجاته المختلفة من طرف المحيطين به خصوصا الوالدين، وكذلك الأقارب والكبار الآخرين كالمعلمين، الإخوة والزملاء والأصدقاء الذين يدفعون بمعتقدات الطفل الأساسية عن نفسه إلى التطور.

فالمخططات دائمة ومستمرة وصعبة التغيير، تتطور في سن جد مبكر، وتعتبر حقائق قطعية نحو الذات وسلامة مكوناتها الذاتية ونحو العالم الخارجي، فأى تغيير فيها يؤدي بالطفل إلى الاضطراب.

قائمة المراجع:

1. حامد عبد السلام زهران، علم النفس النمو، الطفولة والمراهقة، دار المعارف، 1986.
2. حنان العناني، اللعب عند الأطفال - الأسس النظرية والتطبيقية، الأردن، دار الفكر، 2002.
3. شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية طفل ما قبل المدرسة، 2000.
4. فتيحة كركوش، علم نفس الطفل، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
5. فتيحة كركوش، سيكولوجية ما قبل المدرسة: نمو، مشكلات، مناهج وواقع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011.
6. مريم سليم، علم النفس التربوي، لبنان، دار النهضة العربية، 2004.
7. Chiland.C and all, Les enfants et la violence, Paris, PUF, 1997.
8. Jean Cottraux et Blackburn, Les psychothérapies cognitives des troubles de lapersonnalité, Paris, Masson, 1995.
9. Jean Cottraux and all, thérapie des troubles de la personnalité, Paris, Masson, 2001.
10. Jeffrey Yong and all, je réinvente ma vie, canada, 2003.
11. Jeffrey Yong and all, La thérapie de schémas, Bruxelles, édition de Boeck, 2005.
12. Hahuseau.H, Comment ne pas se gâcher la vie, Paris, Jacob, 2003
13. Firouzeh Mehran, Traitement du troubles de la personnalité borderline Paris, édition Elsevier ,2006.

*الرسائل الجامعية:

14. Losseni Fofana, évolution des schémas cognitifs –émotionnels chez des patients anxio-dépressifs en fonction d'une prise en charge en psychothérapie cognitive, thèse de doctorat de psychologie, université Charles de gaule, France, 2007.
15. Nathalie Kahalé, l'influence du trouble bipolaire sur les facteurs cognitifs et affectifs chez les patients adulte libanais, thèse de doctorat de psychologie, université saint –esprit de Kaslik, Liban, 2009.

: المجلات

16. Jeffery.Young, Michael First, Les modes de schémas, Juin, 2002.